

النص السمعي البصري طبيعته وأنواعه ووظائفه

يحي بعيطيش
جامعة منتوري / قسنطينة

Résumé

L'Audiovisuel est l'association de deux caractères tout a fait complémentaire "Audio" et "Visuel" et c'est à travers l'audiovisuel que les individus peuvent accéder à la connaissance, communiquer avec le monde inanimé et le monde animé.

The last half of the twentieth century was characterised by revolutions in **information** and **communication** technology that influenced various professions. The impact of information and communication technologies on the translation process has given rise to some interesting debates and reflections among researchers. In view of the fact that technology is relevant in the *production, transmission, and distribution* of information, translation teachers cannot in all possibilities ignore computer-based technology in the training of students and even in their own professional development. This is particularly obvious in today's translation needs.

مقدمة :

نحاول في هذه الدراسة أن نسلط بعض الأضواء على مفهوم النص السمعي- البصري موضحين طبيعته وأنواعه ووظائفه المختلفة، وذلك انطلاقا من مقارنة وظيفية، نحاول من خلالها توضيح الأنظمة التبليغية للنصوص الجديدة (سمعية بصرية، حركية إيمائية، شمعية، ذوقية...) بصفة عامة، مركزين على طبيعة النص السمعي

البصري كرسالة تبليغية بامتياز، تتحقق فيها كل عناصر الرسالة، بدءاً من المرجع وانتهاء بالوضع أو السنتن المتعدد (Pluricodicité)، فضلاً عن وظائفه المتعددة (إبلاغية، تبليغية، بلاغية) التي تمزج بين السمعي والبصري من جهة، وبين اللساني وغير اللساني من جهة أخرى.

وعليه تتخذ دراستنا لنفسها الخطة التالية :

- 1 - تعريف النص السمعي البصري :
- 2 - مكونات النص السمعي البصري :
- 3 - وظائف النص السمعي البصري
- 4 - الأشكال النصية الجديدة
- 5 - طبيعة النص السمعي البصري
- 6 - أنواع النص السمعي البصري

1 - تعريف النص السمعي البصري :

عبارة " النص السمعي البصري " مركب إضافي، تتكون من مضاف هو " النص " ومضاف إليه هو " السمعي البصري "، سنقف بإيجاز عند مفهوميهما الاصطلاحيين لنتبين بوضوح طبيعة النص السمعي البصري وأنواعه وعناصره ووظائفه.

1 - 1 مصطلح النص :

يتفق أغلب المنظرين في لسانيات النص الحديثة أن النص أي نص هو حدث أو فعل تبليغي "Acte communicationnel" أساسه نقل بلاغ " Message " من مبلغ (بكسر اللام " Emetteur ") إلى مبلغ (بفتح اللام " Récepteur ")، بهدف إبلاغه مقصداً معيناً من مقاصده.

وبناءً عليه يتضح أن التبليغ (communication) علة وجود النص، وكيونته رهينة بالوظيفة أو الوظائف التي يؤديها؛ أي بالقصد أو المقاصد التي يرمي المبلغ إيصالها إلى الآخر أو الآخرين.

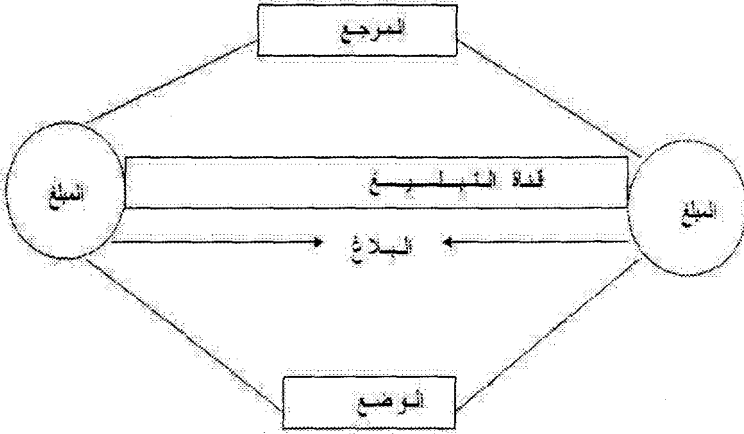
وبناءً عليه يكون النص السمعي البصري نصاً تبليغياً بامتياز، إن من حيث عناصره الستة المعروفة في نموذج جاكيسون، أو من حيث وظائفه المقابلة لها، كما سيتضح بعد تعريفه وتبيان طبيعته

1 - 2 ما هو النص السمعي البصري ؟

إنه ذلك الفعل التبليغي الذي يبلغ مضمونا أو رسالة بسيطة أو مركبة تجمع وسائط لغوية وغير لغوية متعددة قد تتجسد في نص قصير (جملة أو بعض الجمل البسيطة) لا يتجاوز عرضه بعض الثواني، أو نص كبير يستغرق عرضه أو بثه ساعات طويلة، وأهم ما يميز النص السمعي البصري الوسائط غير اللغوية التي كثيرا ما تتضمن فتشمل الصورة والموسيقى والحاسوب والألوان المتعددة والحركات الإيمانية المختلفة..

2 مكونات النص السمعي البصري :

يلاحظ من خلال تعريف النص السمعي البصري أنه ذو طبيعة تبليغية مركبة أو معقدة، أي أن دورة التبليغ فيه متعددة الجوانب والوسائط، سواءا تعلق الأمر بمرسله أو بمتلقيه أو برسائله وخاصة على مستوى قنواته وسننه، ويمكن أن نستعرض عناصره ونوضحها وفق نموذج جاكيسون التبليغي كالآتي (1) :



يتضح من هذه الترسيم أن عملية التواصل أو التبليغ في النص السمعي البصري تتكون من العناصر التالية :

2 - 1 المبليغ (بكسر اللام) : وهو الموجه للبلاغ أو الباث للرسالة أو النص السمعي البصري، وقد يكون شخصا أو مجموعة أشخاص (مؤسسة بث إعلامية، أو شركة صناعية أو تجارية ..)

2 - 2 المبليغ (بفتح اللام) : وهو المتلقي أو المرسل إليه الذي يتلقى البلاغ أو النص السمعي البصري، يكون في الغالب جمهورا عريضا حسب نوع النص السمعي البصري.

2 - 3 البلاغ : ويعني الرسالة أو المضمون الذي يحمله النص السمعي البصري في طبياقته، من معلومات و أخبار ومقاصد، يتوجه المبليغ بها إلى الجمهور المقصود، وقد يكون منظوقا وهي السمة الغالبة على النص السمعي البصري، وقد يكون نصا مكتوبا مصحوبا بالصور أو سابقا أو لاحقا لها .

2 - 4 قناة التبليغ: وهي المسلك الذي يمرر المبلّغ من خلاله البلاغ إلى المبلّغ أو المتلقي، وتتنوع القناة بتنوع الوسائل التي تنقل بها البلاغات المختلفة.. وأهمها⁽²⁾:

2 - 4 - 1 الوسائل البصرية: كالألياف البصرية، والإبهار بالألوان الضوئية ...

2 - 4 - 2 الوسائل الجديدة: وهي ثلاثة أنواع:

2 - 4 - 2 - 1 الوسائل الثقيلة: وتشمل وسائل الإعلام (Mass Média) محطات البث المختلفة: الإذاعة، التلفزة بصرية، المقطورة، كالتلفزة بحسب الطلب في مقابل التلفزيون السلطوي، أو التلفزة المشروطة. ات الألفية المشفرة التي يدخل إليها بدفع اشتراكات أو رسوم.. مؤسسة الحضور (Société de l'Ubiquité)⁽³⁾: الحضور في أكثر من مكان وفي آن واحد التي عوضت فكرة القرية الكونية (Village global) .. والأقمار الصناعية للاتصالات أو البث عن بعد، إضافة إلى الصناعة السينمائية والمواقع المختلفة على شبكات الإنترنت.

2 - 4 - 2 - 2 الأجهزة التكنولوجية الحديثة: وهي أجهزة كثيرة يصعب حصرها، لذا سنقتصر على ذكر بعضها⁽⁴⁾:

جهاز الفيديو وأشرطة (كاسيت الفيديو) والكاميرا، وآلات التصوير المختلفة (عادية ورقمية ..) والمتنوسكوب (Magnitoscope) الذي يسجل الصوت والصورة، الفيديو تيكس (Vidéotex)

التلفزيوني، الفيديو العارض (Vidéoprojecteur) وجهاز النقل (Vidéotransmission)، وغير ذلك من الأجهزة الحديثة المصاحبة لجهاز التلفزة، كالمودم (Modem) الذي يترجم المعلومات

العكس، والطرفية (Terminal) المستعملة كجهاز الفيزيوفون (Visiophone) الذي يستعمل كوسيط للوصول إلى الشبكة التلفزيونية الصوتية العامة وإلى شبكة الفيديو تيكس، إلى جانب استعمالها كوسيط لإدخال البيانات وإخراجها، أو كمحطة للتراسل بين المستعمل والحاسوب، فضلا عن الوسائل المتعددة المصاحبة لهذا

الأخير كقارئ " السيدي - روم (C D - Rom)، والأقراص الممغنطة..

2 - 4 - 2 - 3 الوسائل السمعية:ذبذبات صوتية وموجات سمعية،تنقل إلى الأذن بوسائل متعددة:بذءا بمسجل الصوت (Magnitophone) والميكروفون والهاتف التقليدي وأجيال الهواتف النقالة الحديثة ...

2 - 5 المرجع: ويتمثل في السياق والمقام والأشياء التي تحيل عليها وسائل النص السمعي البصري،وعلى رأسها الصورة الملونة التي تنتقل الوقائع والأحداث والأشخاص مصحوبة بمناظر ومشاهد واقعية متحركة يتفاعل معها المشاهد ويعايشها مندمجا فيها جزئيا أو كليا..

وبذلك يكون مرجع النص السمعي البصري مرجعا مركبا،يجمع بين الصوت المنطوق أو المكتوب والصورة واللون والحركة.

وما ينبغي التنبيه إليه،أن أغلب عناصر عملية التبليغ في النص السمعي البصري،تقوم بدور مزدوج أو متعدد دون أن تنفي دورها الخاص⁽⁵⁾.

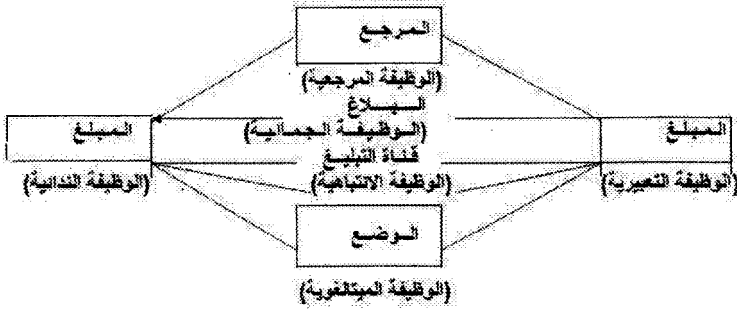
2 - 6 الوضع أو السنن (Code): سبقت الإشارة إلى أن النص السمعي البصري متعدد السنن،وعليه فإنه يمكن القول بأن هذه التعددية تشمل مجموعة القواعد التي ينظم بها المبلغ (منتج النص السمعي البصري) مجموعة العلامات المكونة للنص السمعي البصري،وهي علامات لغوية وغير لغوية،تتعلق الأولى بالقواعد النحوية المنظمة للنص اللفظي المنطوق أو المكتوب،وتتعلق الثانية بالقواعد المنظمة للنص غير اللفظي الذي يتجسد في أنظمة سيميائية متعددة أهمها: الصورة والحركة واللون التي أصبحت لغات خاصة (لغة الصورة أو الحركة أو اللون)،وكل من تلك اللغات قواعدا الخاصة بها،كما سنفصلها لاحقا.

وبناءا على ذلك فإن مبلغ أو مرسل النص السمعي البصري لا يكتفي بالتسنين أو الموضعة اللغوية،وإنما يتعداها إلى السنن غير

اللغوية، والمرسل إليه أو المبلغ فكك تلك الرموز المتعددة ويحللها ليفهم القصد أو مقاصد النص السمعي البصري الموجه إليه.

3 - وظائف النص السمعي البصري

بما أن النص السمعي البصري بنية إبلاغية مركبة تنطبق عليها مواصفات البلاغ أو الرسالة العادية التي سبق أن بينا عناصرها الأساسية من خلال ترسيمة جاكبسون فإن بنيته الوظيفية لا تخرج عن وظائفه الست المشهورة - مع مراعاة خصوصية تعدد وسائط النص السمعي البصري - كما توضحه الترسيمة الموالية :



يتضح من هذه الترسيمة أن النص السمعي البصري كغيره من النصوص العادية، تنطبق عليه مفهوم الوظيفة المهيمنة (La Fonction dominante)⁽⁶⁾؛ أي أنه قد يركز على واحد أو أكثر من العناصر الستة، فإن ركز على المبلغ (المرسل)، سادت الوظيفة التعبيرية (F/Expressive) أو الانفعالية : وهي الوظيفة التي تعكس كل ما له علاقة بمرسل النص السمعي البصري، كالتركيز على صورته الجسمية، وطريقته في الكلام كنبرات صوته وحركاته الإيمائية ولباسه ..

وإن كان المبلغ (المرسل إليه)، هو محور التركيز، سادت الوظيفة الندائية (F/Appellative) : وهي وظيفة تأثيرية أو انطباعية يستثار فيها المتلقي أو مشاهد النص السمعي البصري، بمحاولة توجيهه فكريا أو وجدانيا نحو قيم معينة (أيديولوجية، تجارية سلوكية...)...

وإن كان التركيز يتجه نحو المرجع أو السياق، ظهرت الوظيفة المرجعية (**Fonction Référentielle**) : وهي الوظيفة التي تفتح على المحيط الخارجي الذي يدور حوله موضوع النص السمعي البصري، حيث تنقل لنا هذه الوظيفة معطيات الوقائع الخارجي وأحداثه وأشخاصه بأمانة ودقة..

و تتحقق الوظيفة الانتباهية " **Fonction Phatique** " حينما يركز على شد انتباه المتلقي أو المشاهد نحو فكرة أو مضمون أو مقصد معين من النص السمعي البصري، يلجأ إلى تقنيات سمعية بصرية متعددة، كاللجوء إلى الإيقاعات الموسيقية العالية أو الخافتة أو السريعة أو البطيئة، أو التلاعب بالألوان والأصواء .. وخاصة تقنيات الصورة، كتأطير منظر أو مشهد معين، أو تثبيته أو تكبير جزء منه .. أما عندما يركز النص السمعي البصري على ذاته، فتتولد الوظيفة الجمالية (**Fonction Esthétique**) : حيث يصبح أسلوب النص عملية اختيار واعية لعناصر لغوية على المستوى الشفوي أو الكتابي (اختيار كلمات وتراكيب يحدث نظمها جرسا موسيقيا وإيقاعا معينا..)، وغير لغوية تجسد في انسجام (الصور، الموسيقى، الألوان، حركات ..) يوظفها منتج النص السمعي البصري عن قصد لإحداث تأثير خاص على المتلقي أو المشاهد ، يجعله يحس بالجمال والنشوة الفنية وشاعرية المناظر والمشاهد وسحرها..

وبناءا عليه نخلص إلى أن النص السمعي البصري ذو نسق لغوي لسانی و أيقوني غير لغوي، سنقتصر على استخلاص وظائفه البلاغية اللغوية بصفة عامة، ووظائف الأيقونية وعلى رأسها الوظيفة البلاغية للصورة بصفة خاصة.

3 - 1 الوظائف البلاغية للنص اللغوي :

يمكن إجمال وظائف النسق اللغوي البلاغية، على مستوى النص الملفوظ أو المكتوب في كل ماله علاقة بجمال الصوت، واختيار الكلمات المشعة، وانتقاء الجمل البسيطة ذات العبارات المختزلة الموجزة التي تضغط الدلالات وتكثفها، أما على مستوى النص المطبوع أو المكتوب فتعكس في كل ماله علاقة بجماليات الخط ونوعيته وتلويناته.. وما يحيط بالنص من أطر وما قد يتخلله من

عناوين مؤطرة أو مسطرة أو مميزة بخطوط عريضة أو مفخمة.. وعلى العموم فإن النسق اللغوي في النص السمعي البصري، سواء كان ملفوظاً أو مطبوعاً مصاحباً للأحداث التي تعكسها المناظر والمشاهد، يتكامل مع النسق الإيقوني، ليقوم بجملة من الوظائف أهمها⁽⁷⁾:

3- 1- 1 الوظيفة التوجيهية أو التوجيهية: تعد الصورة فضاء واسعاً يؤثر مشاعر وأحاسيس شتى، تنفتح على دلالات وتأويلات متعددة، لذلك كثيراً ما ترفق بتعليق لغوي، قد يطول وقد يقصر، ليوجه جمهور المتلقين نحو مضامين وأفكار ومشاعر معينة، أو يوضحها لهم ويساعدهم على الفهم ومتابعة ما يعرض عليهم.

3- 1- 2 وظيفة الترسيخ (Ancre): أن العلاقة بين الكلام والصورة علاقة تكاملية، كثيراً ما يقوم النص اللغوي (المنطوق أو المكتوب) بتوجيه المتلقي أو المشاهد نحو مدلول محدد، لأن الصورة متعددة الدلالة (Polysémie)، ومن ثمة فإن النص اللفظي يوجه إدراك المشاهد ويقود قراءته للصورة، بحيث لا يتجاوز حدود معينة في التأويل، فالنص اللغوي إذن يمارس سلطة على الصورة بتحكمه في قراءتها وكبح جماحها الدلالي.

3- 1- 3 وظيفة التدعيم (Relais): وتتجسد في كون النص اللفظي يضيف بعض الدلالات الجديدة للصورة، بحيث تتكامل مدلولاتهما وتنصهر في إطار وحدة أكبر أو في مستوى أعلى، قد يكون قصة في شريط..

3- 2 الوظائف البلاغية الإيقونية:

وتشمل التأثيرات المختلفة التي يحدثها النسق الإيقوني غير اللغوي التي تتغلغل إلى أعماق المتلقي أو مستهلك النص، وتهز مشاعره وتثير انفعالاته، وهي كثيرة ومصادرهما متعددة (الحركة، الألوان، الرسوم، الموسيقى..)، نكتفي منها بإيجاز الوظائف البلاغية للصورة مجملتها في الآتي⁽⁸⁾:

3- 2- 1 الوظيفة الجمالية: لا يقتصر دور الصورة في النص السمعي البصري على الوظيفة المرجعية، بل تتعداه إلى الوظيفة

الجمالية أو البلاغية (F/Réthorique) التي تحقق الإمتاع والإقناع والإغراء والإغواء، ويمكن تلخيص جماليات الصورة بصفة عامة في الوظائف التالية :

3 - 2 - 2 الوظيفة الإيحائية : كثيرا ما تكون الصورة الفوتوغرافية، سواء كانت ثابتة أو متحركة عالما مفتوحا على مصراعيه، لكثير من التأويلات والتصورات والأحلام، لأنها تغازل الوجدان وتخطب الوعي واللاوعي وتوحي بمشاعر وأحاسيس من خلال معان ودلالات، قد يجدها المشاهد ميثوقة في ملامح الوجه وفي الابتسامة ودقة النظرة وحركة الحاجبين والرأس.. فضلا عن اللباس والحلي، والأثاث والديكور والمكان الذي تتحرك فيه تلك الصورة.

3 - 2 - 3 الوظيفة التمثيلية : تعد الصورة الوسيلة الأفضل التي تنقل لنا الأشياء والأشخاص كما هي، في أشكالها وأبعادها بدقة تامة، وهو الأمر الذي تعجز عنه غالبا الكلمة أو النص اللغوي، وغالبا ما يغدو المشاهد بين الصورة والنص اللغوي، غير أن منتج النص السمعي البصري لا يكتفي بنقل ما يصوره نقلا فوتوغرافيا حرفيا، بل يضيف عليها بعض اللمسات الجمالية إن باختيار اللون أو الإيقاع أو الديكور المناسب ...

وتتحقق في الأخير الوظيفة الميتالغوية (F/Métalinguistique) عندما يركز على السنن المتعدد لقواعد إنتاج النص السمعي البصري وفهمه، وهي وظيفة فوق لغوية، تولدها قواعد النسق اللغوي وغير اللغوي، خاصة تلك القواعد والتقنيات التي لها علاقة بالنسق السيميولوجي (الصورة والحركة واللون ..)، وهي - كما سبقت الإشارة إليه - تشمل نوعين كبيرين من القواعد :

أ - قواعد الوضع اللغوي : وتشمل القواعد المتعارف عليها في اللغة اللفظية، أي تلك القواعد الصرفية والنحوية المنظمة للغة العادية، أو القواعد الفنية (قواعد البيان والبديع ..) المشكلة للغة الفنية التي ترتاح لها النفس وتطرب..

ب - قواعد الوضع الإيقوني : وتشمل التقنيات التي لها علاقة بالعلامات غير اللغوية، وعلى رأسها تقنيات الصورة، كتحريكها بسرعة أو ببطء نحو اليمين أو اليسار إلى الأعلى أو إلى الأسفل، إلى

الأمام أو الورااء، أو جعلها تدور حول نفسها أو حول الأشياء، فضلا عن إمكانية تكبيرها أو تكبير بعض أجزائها وتأطيرها أو تبنيها... فضلا عن كل الوسائل البصرية، كالزخرفة الخطية التي لها علاقة بتقنيات الكتابة الحديثة، ممثلة في تضخيم الكتابة وتلوينها وإبراز العناوين وإضاءاتها، وفي التلاعب بالحروف وتلوينها وإمالتها وإضاءتها الخافقة أو الخاطفة، أو جعلها تتآكل وتتساقط وتتراقص..

وبعد هذا العرض الموجز للوظائف النص السمعي البصري نخلص إلى أن النص السمعي البصري يتميز بكونه نصا متعدد الوظائف، فهو النص الأمثل الذي لا تظهر فيه كل الوظائف اللغوية الست فحسب، بل قد تظهر فيها تلك الوظائف كلها دفعة واحدة.

4 - الأشكال النصية الجديدة :

تبعاً لقناة التبليغ، يمكن أن نقوم بتصنيف أولي عام للأشكال

النصية الجديدة :

4 - 1 البلاغات أو النصوص البصرية " Messages visuels " :
وسيلتها الأساسية هي الصورة، كالبلاغات المعتمدة على " الإيكونات " والرسوم، والصور الفوتوغرافية، ويدخل في هذا النوع صور الرسم الكاريكاتوري ولوحات الرسم المختلفة ورسوم الأطفال، والصور الفوتوغرافية الثابتة والأفلام الصامتة، والقصص المصورة للأطفال الصغار (بالصور أو الرسوم) ..

وقد يلحق بهذه الأنواع نصوص لغوية مكتوبة تصحب الصورة الأيقونية أو الفوتوغرافية أو الرسم .. في شكل عناوين أو عبارات مكتوبة قد تطول أو تقصر، وأشهر هذه النصوص القصص المصورة للكبار (Romans photos)⁽⁹⁾

4 - 2 البلاغات أو النصوص السمعية " Messages sonores " :
وتشمل البلاغات التي تقوم على الموسيقى والألحان والإيقاع كالسنفونيات والألحان المختلفة، وقد تصحب بنصوص لفظية كالأغاني والأنشيد القديمة ..

4 - 3 البلاغات أو النصوص اللمسية " Messages tactiles " :
وهي نوع خاص من البلاغات، تعتمد أساساً على حاسة اللمس، كلمس المكفوفين للحروف الطباعية، أو نوع المصافحة (يلمس اليد برقعة أو

بفتور، أو بالضغط عليها بقوة، أو جذبها بعنف ..)، أو المسك من مناطق معينة من الجسم أو قرصها...

4 - 4 البلاغات أو النصوص الشمية " Messages olfactifs " : وتشمل البلاغات التي تقوم على حاسة الشم، مثل العطور والروائح المختلفة، مع ملاحظة أن هذا النوع من البلاغات ترتبط ارتباطا وثيقا بقصود مبلغها.

4 - 5 البلاغات أو النصوص الذوقية " Messages gustatifs " : وهي البلاغات التي تتخذ حاسة الذوق أساسا لأداء رسائل محددة، من خلال تقديم طعوم أو مشروبات أو حلويات أو مخللات معينة ..

4 - 6 البلاغات أو النصوص الإشارية أو الإيمائية " Messages gestuels / kinésiques " (10) : وتشمل البلاغات التي تعتمد على أنساق إشارية مختلفة، تصاحب الكلام أو تكمله أو تعوضه أو تكون بديلا عنه، مثل نظام إشارات المرور المختلفة (برا وبحرا وجوا)، وأنظمة الإشارات الحركية المرتبطة بجسم الإنسان كتمرير بلاغات معينة في مقامات وسياقات محددة، بتحريك الحاجبين أو زم الشفتين أو هز الكتفين أو رفع اليدين أو تشبيك الأصابع... فضلا عن أنظمة الإشارات المتصلة بالعادات والطقوس لدى المجتمعات، كالحركات والإشارات المصاحبة للشعائر الدينية والأعياد والاحتفالات الرسمية ..

4 - 7 البلاغات أو النصوص البونية " Messages proxémiques " : تعني البلاغات البونية (من البون: المسافة بين جسمين) (11) مجموعة السلوكيات المرتبطة بالمكان، أي الكيفية التي يتم بها سلوك الأفراد عند تجمعهم في فضاء ما، أو التصرف المكاني الذي يعطينا معلومات ودلالات معينة، فهناك تقطيع عام للفضاء، تصنف بموجبه المسافات بين الأشخاص إلى مسافات: حميمية، شخصية، اجتماعية، علنية، وتعطي نسبيا مقاربة متعارف عليها في الثقافات المختلفة (12)، فمثلا الغرباء الذين لا يعرف بعضهم بعضا يحتفظون بمسافة فيما بينهم، حيث يحتلون مقاعد منفصلة أو متباعدة، إذا التقوا في مكان ما، وحين يكون الاقتراب أو الاحتكاك قسريا في الحافلات المكتظة أو المصاعد على سبيل المثال يخفف الإزعاج

بالنظر إلى ناحية مغايرة وعلى العكس من ذلك تماما مع المعارف أو الأقارب خاصة مع أفراد الأسرة التي بنزع أفرادها إلى التجمع وتقليص المسافة فيما بينهم والإقبال على بعضهم..

5 - طبيعة النص السمعي البصري وأنواعه :

انطلاقا من الأشكال النصية السالفة الذكر، يمكن أن نتساءل عن ماهية النص السمعي البصري، وموقعه من تلك الأشكال، وطبيعته وخصائصه وأنواعه ؟

5 - 1 طبيعة النص السمعي البصري :

إن المتمعن في تعريف النص السمعي البصري وفي طبيعة الأشكال النصية السالفة الذكر يلاحظ أنه بنية تبليغية تواصلية بامتياز، ذات طبيعة معقدة متعددة الأنساق والوسائط، تجمع بين النسق اللغوي في مستوييه المنطوق والمسموع، وبين أنساق سيميولوجية متعددة، تجعلها تتقاطع مع أنساق أغلب النصوص السيميولوجية وعلى رأسها نسق الصورة بكل أنواعها، ونسق الحركة الإيمائية بكل تفرعاتها، وهو ما سنحاول إلقاء نظرة فاحصة على تلك التعددية النسقية وتوضيح خصائصها

5 - 1 - 1 طبيعة النسق اللغوي :

لما كان النص السمعي البصري بنية لغوية منطوقة أو مكتوبة تتفاعل مع بنيات سيميولوجية، فإن أساسه يقوم على العلامة اللغوية، ذات طبيعة رمزية (Symbolique)، أي أن العلاقة بين دالها ومدلولها علاقة اعتباطية، تخضع لما تواضع عليه أهل اللغة من جهة، ولمنظومة القواعد النحوية (Grammaire) بمفهومها العام (القواعد الصرفية والتركيبية والدالية والتداولية والصوتية الفونولوجية) (13)، بحيث يصبح البلاغ اللفظي (Message verbal) منتوج انتظام تلك العلامات اللغوية (الكلمات) ضمن العلاقات النحوية، وبالتالي يكون النص اللغوي سواء تعلق الأمر بنص فلم أو شريط أو محاضرة أو برنامج... هو ناتج تلك العلاقات النسقية، مع مراعاة الخصائص المميزة لصورته المنطوقة أو المكتوبة (14)، مثل :

- أ - خصائص النص المنطوق : يتميز النص المنطوق بجملة من الخصائص، يمكن إجمالها في الآتي:
- يكون مصحوبا ببرنامج نطقي مميز بخصائص صوتية فونولوجية، كالنبر والتنغيم والتقطيع العروضي
 - يكون مصحوبا بإيماءات وعلامات خاصة...
 - التخفف من الروابط النحوية والإعراب..
- ب - خصائص المكتوب : ويتميز النص المكتوب عن صنوه المنطوق بجملة من الخصائص، أهمها :
- يعوض الخصائص النطقية بعلامات الترقيم المناسبة..
 - يعوض بعض الحركات الإيمائية الضرورية بوصفها وصفا لغويا..
 - تظهر فيه الروابط النحوية بكثرة، ويتحقق فيه التماسك النصي بين العبارات والجمل والفقرات..
- 5 - 1 - 2 طبيعة النسق السيميولوجي :

سبقت الإشارة إلى أن البنية التبليغية السيميولوجية في النص السمعي البصري متعددة الأنساق، تجمع بين نسق الموسيقى والصورة واللون والحركة... نكتفي منها بنسقي الصورة والحركة الإيمائية

5 - 1 - 2 - 1 النسق التصويري : خلافا للنسق اللغوي اللفظي الذي يعتمد على العلامة اللسانية (Signe linguistique) يقوم النسق التصويري (الصورة، الرسم...) على العلامة التصويرية (Signe pictural)، التي تتفاعل مع العلامة اللسانية وقد تعوضها وتقوم مقامها، بوصفها تمثيلا (Représentation) للواقع شبيها بالمرآة التي تعكس ما يجري حقيقة من أحداث أو مناظر أو مشاهد... في الواقع الخارجي، لأن العلاقة بين العلامة التصويرية ومرجعها علاقة طبيعية قياسية (Analogique)، لا تقوم على المشابهة فحسب، بل تقوم على المماثلة الحقيقية، التي تنقل ما يجري في الواقع بالصورة واللون والصوت والحركة... وبذلك أصبح العالم المعاصر في بداية القرن الحادي والعشرين أمام لغة جديدة أحرست اللغة المفقودة إنها لغة الصورة التي نقلت المجتمعات المعاصرة إلى ما أصبح يعرف بثقافة وحضارة الصورة التي هيمنت على العالم المعاصر فبات محكوما بامبريالة الصورة⁽¹⁵⁾، وبذلك فتح الباب على مصراعيه أمام النص

السمعي البصري، أو ما يسمى بالبيث السمعي البصري، عن طريق الإنترنت والبيث التلفزيوني الذي أمسى يقدم خدمات إعلامية سمعية بصرية جذ متطورة.

وإذا كان للغة اللفظية الطبيعية نحوها المنظم لعلاماتها، فإن اللغة التصويرية أسست نحوها الخاص بها، يضم منظومة من القواعد (النحوية والبلاغية) الخاصة، يمكن أن نصطلح عليها باسم قواعد العلامات التصويرية (**Grammaire des signes**) (pictural) تشمل تنظيم الصور المختلفة التي يتكون منها النص السمعي البصري (الصور الفوتوغرافية الثابتة أو المتحركة، والصور الكاريكاتورية والرسوم المتحركة ..)، تهتم القواعد النحوية بتأليف العلامات التصويرية فيما بينها، أي تأليف الصور فيما بينها من حيث تواليها في مشهد معين مثلاً، أو ترتيبها أو حذف بعضها أو تقديمها أو تأخيرها، فضلاً عن التأطير أو التبشير الجزئي أو الكلي للصورة وتعيمها أو إضاءتها، تسريعها أو تبطئتها ..

أما القواعد البلاغية فتهم بإضفاء الجمال على صور النص السمعي البصري، سواء تعلق الأمر باختيار الوضعيات المناسبة للصور المختلفة (مناظر طبيعية أو صور شخصية ..)، أو باختيار الديكور أو اللون المناسب، أو باختيار الإضاءة والموسيقى والإيقاع والنغم المصاحب للصورة ..

5 - 1 - 2 - 2 النسق الحركي الإيماني : يمثل الإيماء الوسيلة الأكثر ثراء بعد الصورة واللسان، حيث يذهب بعض دارسي الإيماء إلى أنه بالإمكان توليد ما يناهز سبعمائة ألف علامة باليدين والذراعين⁽¹⁶⁾ وفي المسرح يستطيع ممثل الدراما الهندية، أن يصور بيده ما يقارب ثمانمئة علامة، وهو ما يقارب كمياً المعجم الأساسي لتعلم أي لغة أجنبية⁽¹⁷⁾.

وفي هذا السياق يمكن أن نذكر اللغة الإيمائية التي يستعملها الصم البكم، فهي كما هو معلوم نسق إشاري مغلق، أساسه العلامة الإيمائية (Signe gestuel)، وهي كالعلامة التصويرية تقوم على

المشابهة مع مرجعها، وهي عند الأشخاص العاديين تصاحب الكلام اللفظي وتكملة أثناء عملية التبليغ، وانطلاقاً من ذلك يمكن أن تصنف إلى ثلاثة أنواع⁽¹⁸⁾ :

5 - 1 - 2 - 2 - 1 إيماءات التمديد (*Geste de prolongement*) : وهي الحركات الإيمائية التي تكمل بعض الملفوظات اللغوية

5 - 1 - 2 - 2 - 2 إيماءات التعويض (*Geste de remplacement*) : وفي هذا النوع تغيب اللغة نهائياً لتفسح المجال للحركة الإيمائية وحدها.

5 - 1 - 2 - 2 - 3 إيماءات المصاحبة (*Geste d'accompagnement*) : في هذا النوع تحضر العلامة الإيمائية جنباً إلى جنب مع العلامة اللغوية، ويحدث التكامل بينهما.

نخلص من هذا التصنيف إلى أن العلامة الإيمائية تتميز بطابع حركي ديناميكي من جهة، ويتسنى متواضع عليه عند أهل اللغة من جهة أخرى، لكن رغم الطابع الكلي للعلامات الإيمائية بين اللغات المختلفة أو الشعوب

إلا أنها تتميز ببعض الاختلافات بين الثقافات الحضارات التي تنتمي إليها تلك اللغات أو الشعوب.

ولعل أهم ما يحسن تسجيله في هذا الصدد أن هناك دراسات علمية متخصصة جادة اهتمت بتحديد الوحدات الدنيا للعلامة الإيمائية قياساً على العلامة اللغوية، وتحديد ما يمكن تسميته بنحو أو قواعد العلامات الإيمائية (*Grammaire des signes gestuel*) تشمل تنظيم العلامات الإيمائية المختلفة التي يتكون منها البلاغ أو النص الحركي الإيمائي؛ فقد فككوا العلامة الإيمائية إلى عدة مستويات :

أ - الحريكة (*Kiné*) : وهي ما يقابل الفونيم في اللغة الطبيعية، كهز الحاجبين مثلاً، إذا تكررت الحريكة مرتين انتقلت إلى مستوى :

ب - الأحروكة (*Kinème*) : وهي ما يقابل المورفيم أو المونيم في اللغة اللفظية أو الطبيعية، وقد استطاعت دراسة أميركية⁽¹⁹⁾ ستين أحروكة متعلقة بالنسق الأميركي، ثلاث هزات للرأس، حركتا ميلان للرأس، حركات الحاجب والجفون والأنف والفم والذقن والوجنتين...

ج - أشكال الحركة (Kinèmorphie) : وتمثل مستوى آخر أكثر تعقيدا يؤلف بين أحركات متعددة ترتقي بها إلى مستوى أعلى، يقابل الجملة البسيطة في اللغة الطبيعية، ويمكن الانتقال إلى مستوى أكثر تعقيدا تقابل الجملة المركبة أو النص الحركي الإيمائي .. وعلى العموم فإن هذه الدراسات لاتزال في البداية، يهمننا منها أن النص السمعي البصري لا يستغني فيه مقام التلفظ المصاحب له عن الجهاز الإشاري الحركي المناسب ..

6 - أنواع النص السمعي البصري :

انطلاقا من الوظائف الثلاث لعالم النفس النمساوي كارل بوهلر، ميز علماء النص بين ثلاثة أنواع كبرى من النصوص⁽¹⁹⁾ :

6 - 1 النصوص التعبيرية التي تهيمن عليها الوظيفة التعبيرية " **Fonction Expresive** " : كالخطب والبيانات المختلفة والمحاضرات والندوات والاستجابات والمحاورات واللقاءات الخاصة ...

6 - 2 النصوص الإخبارية التي تهيمن عليها الوظيفة المرجعية " **Fonction Référentielle** " : كالأشرطة العلمية والتعليمية المختلفة والتحقيقات والبرامج التثقيفية الاقتصادية والاجتماعية .. والنشرات الإخبارية والجوية التي تعطي الأهمية للحقائق والمعلومات المختلفة ...

6 - 3 النصوص الاستثنائية التي تعتمد أساسا على الوظيفة الاستثنائية أو الوظيفة الندائية " **Fonction Appellative** " : ونجدها في النصوص الفنية بصفة عامة وفي النصوص ذات الطابع الدعائي والإشعاري بصفة خاصة، وفي الأفلام والمسلسلات والمسرحيات وأفلام الكرتون (Bande Dessinée) والرسوم المتحركة ...

6 - 4 النصوص اللغوية العادية التي يمكن تحويلها عبر الوسائط السمعية البصرية التي تحدثنا عنها سابقا، إلى نصوص سمعية بصرية، كتحويل النص السردي الروائي أو القصصي إلى فلم سنيماي أو مسلسل تلفزيوني ، وتحويل النص الحوارى إلى نص مسرحي والنص الوصفى إلى شريط وثائقي والنص التفسيري إلى شريط

وثائقي علمي والنص الحجاجي إلى ندوة أو محاورة بين شخصيين سياسيين أو علميين ..

وبذلك نخلص إلى أن النص السمعي البصري، نص مركب أو معقد قد تتوفر فيه كل الأنواع السالفة الذكر، حيث تتداخل فيه الوظائف ويتداخل فيه السرد مع الوصف والحجاج والتفسير، الأمر الذي يحتم اللجوء إلى الوظيفة المهيمنة، كما سبق ذكره من جهة، وإلى هيمنة البنية المقطعية (Structure séquentielle dominante)⁽²⁰⁾ من جهة أخرى؛ ذلك أن هيمنة الأولى تحدد لنا الطبيعة التداولية للنص، بحيث يتضح ما إن كان الأمر يتعلق بهيمنة الوظيفة المرجعية، ذات الطبيعة الإخبارية المعلوماتية مثلاً، أم بهيمنة الوظيفة التعبيرية أو الاستثنائية أو الجمالية التي تهدف إلى التأثير على المتلقي، ليتقبل قيماً ثقافية وأنماطاً معينة من السلوكيات، أو دغدغة مشاعره ليقبل على استهلاك سلع ومنتجات معينة ..

أما الأخرى فترتبط بهيمنة بنية نصية نسقية معينة، باعتبار النص بنية تركيبية، أو نسيجاً نصياً يشبه في تعقيده بيت عنكبوت، تتعالق خيوطه الرفيعة، وتتكامل مشكلة بناء هندسياً مميزاً محكماً، أهم وصف فيه، كونه منسجماً متسقاً ومتعاضداً، يمكن رصده وتتبعه من خلال البنية المهيمنة التي قد تغلب البنية السردية، كما هو الحال مع الأفلام أو المسلسلات أو الرسوم المتحركة أو القصص المصورة (Romans photos) ... أو البنية الوصفية، كما هو الحال مع الأشرطة الوثائقية أو التسجيلية حول بعض المدن أو الأماكن أو المناظر الآثار المختلة .. أو البنية الحوارية التي تهيمن في المقابلات والاستجابات واللقاءات المصورة مع الشخصيات المختلفة .. أو البنية الحجاجية في الندوات الفكرية والسياسية والمناظرات .. أو البنية التفسيرية في الدروس والمحاضرات والبرامج الثقافية المختلفة ..

ومما يحسن تسجيله في هذا الصدد أن خصائص البنية المهيمنة للنص، تتعاق وتنبهر مع الخصائص السيميائية غير اللغوية (صور، حركات، إيماءات، ألوان، نغمات وإيقاعات موسيقية ..). والخلاصة التي يتوجب إثباتها هي أن طبيعة النص السمعي-البصري ونوعه، منوطة بدراسته، سواءً تعلق الأمر بتحديد وظيفته اللغوية أو

بنيتها الشكلية المهيمنة، فهذه أو تلك ليست معطى مباشراً، بل هي معطى من معطيات الدراسة والتحليل، وتزداد أهمية هذا التحليل أكثر عندما يتعلق الأمر بترجمة النص السمعي-البصري من لغة إلى أخرى، كان يكون دبلجة (Doublage) لفلم أو مسلسل أو عنونة (Sous-titrage)، أو نقل مضمون شريط وثائقي أو علمي..

الخاتمة :

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نحدد طبيعة النص السمعي البصري، من خلال إضاءة أهم جوانبه المتعلقة بمكوناته ووظائفه الإبداعية التواصلية والبلاغية الجمالية وأنواعه المختلفة، وموقعه من الأشكال النصية الجديدة، وبكلمة موجزة مختصرة يمكن القول بأنه فعل تبليغي معقد متعدد الوسائط والسنن والوظائف..

هوامش :

(1) ينظر :

Vanoye Francis : Expression

Communication, Librairie, Armand Colin, Paris

1973, p : 13

(2) نفسه ، ص ص : 218 - 222

(3) نفسه ، ص : 35

(4) نفسه ، ص ص : 37 - 58

(5) ينظر : جاكبسون وآخرون : التواصل نظريات ومقاربات ، تر :

عز الدين الخطابي ، زهور حوتي ، منشورات عالم التربية ، ط1

1428 هـ 2007 م الدار البيضاء ، ص ص : 89 - 92

(6) ينظر :

Jakobson Roman : Essais de linguistique

générale, traduit de L'anglais et préfacé par

Nicolas Ruwet , les éditions de Minuit , Paris 1963

, p :

- (7) ينظر : دليلة مورسلي وآخرون : مدخل إلى السيميولوجيا (نص - صورة) ، تر : عبد الحميد بورايو ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995 ، ص ص : 83 - 84
(8) ينظر : عمران المصطفى : الخطاب الإشهاري بين التقرير والإيحاء ، موقع سعيد بن كراد .
[http : // www . Saidbengrad . com /](http://www.Saidbengrad.com/)

(9) ينظر : يحي بعيطيش : نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، أطروحة دكتوراه دولة مرقونة بمكتبة جامعة قسنطينة 2006 ص 353:

- (10) نفسه ، ص : 354
(11) نفسه ، ص : 354
(12) نفسه ، ص : 354
(13) نفسه ، ص ص : 231 - 263
(14) ينظر التفاصيل في : ج.ب براون ، ج.بول : تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليطي ، منير تريكي ، منشورات جامعة الملك سعود 1418 هـ 1997 م ، ص ص : 05 - 24
(15) ينظر : Vanoye Francis : Expression Communication ، مرجع سابق ، ص : 211
(16) ينظر : سعيد بن كراد : مدخل إلى دراسة اللغة الإيمانية في المسرح ، / [http : // www . Saidbengrad . com](http://www.Saidbengrad.com)
(17) نفسه
(18) نفسه
(19) ينظر التفاصيل في : يحي بعيطيش : نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، مرجع سابق ، ص ص : 457 - 467
(20) ينظر :

Adam Jean-Michel : Les textes types et prototypes. 4é éd Nathan 2001 , p 28